الدرس التاسع والعشرون: التمسك بالسنة والحذر من البدع

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة يرويها لنا يحيى بن عمرو بن سلمة الهمداني قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَبْلَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ؟ قُلْنَا: لاَ، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعاً، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفاً أَمْراً أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلاَّ خَيْراً. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ - قَالَ - رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْماً حِلَقاً جُلُوساً يَنْتَظِرُونَ الصَّلاَةَ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصًى فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً. قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئاً انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتِظَارَ أَمْرِكَ. قَالَ: أَفَلاَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ. ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ، هَؤُلاَءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم مُتَوَافِرُونَ وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي فِي يَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَتِحِي بَابِ ضَلاَلَةٍ. قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلاَّ الْخَيْرَ. قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْماً يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَايْمُ اللهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ. ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلِمَةَ:

رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ [1].

إخوتي في الله، قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى ويستفاد من هذا الحديث أن العبرة ليست بكثرة العبادة وإنما بكونها على السنة بعيدة عن البدعة وقد أشار إلى هذا ابن مسعود ☺ بقوله أيضا: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة، ومنها: أن البدعة الصغيرة بريد إلى البدعة الكبيرة.

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ☺ : أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **"سَيَلِي أُمُورَكُمْ بَعْدِي رِجَالٌ يُطْفِئُونَ السُّنَّةَ، وَيَعْمَلُونَ بِالْبِدْعَةِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا** -، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله: إِنْ أَدْرَكْتُهُمْ كَيْفَ أَفْعَلُ؟ قَالَ: **"تَسْأَلُنِي يَا بْنَ أُمِّ عَبْدٍ كَيْفَ تَفْعَلُ، لَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى الله** -[2].

وقال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى: فالعمل لا يقبله الله تبارك وتعالى إلا إذا توفر فيه **شرطان**: أن يكون خالصا لوجهه ♣، ويكون صالحا، ولا يكون صالحا إلا إذا كان موافقا للسنة غير مخالف لها، ومن المقرر عند عند أهل العلم أن كل عبادة مزعومة لم يشرعها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله، ولم يتقرب هو بها إلى الله بفعله فهي مخالفة لسنته؟

وقال أيضا: والسنة على قسمين: سنة فعلية وسنة تركية، فما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك العبادات فمن السنة تركها، وقد فهم هذا المعنى أصحابه صلى الله عليه وسلم فكثر عنهم التحذير من البدع تحذيرا عاما كما هو مذكور في موضعه حتى قال ابن مسعود ☺ : اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم عليكم بالأمر العتيق.

و مرجع البدع إلى أمرين: أحاديث ضعيفة، وأحاديث موضوعة لا أصل لها، واجتهادات صدرت من بعض المتأخرين بعضها مخالف للسنة العملية، وعادات وخرافات لا يدل عليها الشرع ولا يشهد لها عقل وإن عمل بها بعض الجهال واتخذوها شرعة لهم؟ أ.هـ.

(1) (**صحيح**) أخرجه (دارمي) صححه الألباني في س.ص المختصرة 2005.
(2) (**صحيح**) أخرجه (هـ) وصححه الألباني في س.ص 2/139.

وأمر البدعة خطير جدا لا يزال أكثر الناس في غفلة عنه ولا يعرف ذلك إلا طائفة من أهل العلم وحسبك دليلا على خطورة البدعة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"إِنَّ اللهَ احتجَرَ - أي أبعد - التوبةَ عَلَى كُلِ صَاحبِ بدعةٍ "**[1].

معاشر الإخوة، يقول إمام أهل السنة في عصره الإمام البربهاري رحمه الله تعالى: احذر من صغار المحدثات فإن صغار البدع تعود حتى تصير كبارا وكذلك كل بدعة أُحدِثت في هذه الأمة كان أولها صغيرا يشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فيها ثم لم يستطيع المخرج منها فعظُمت وصارت دِينا يُدَان به فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن ولا تدخل في شيء منه، حتى تسأل وتنظر: هل تكلم فيه أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم أو أحد من العلماء؟ فإن أصبت أثرا عنهم فتمسك به ولا تجاوزه لشيء ولا تختر عليه شيء فتسقط في النار (68).

ولقد كان المسلمون في صدر الإسلام فرقة واحدة ولكن حدثت الفتن وتفرق المسلمون فأصبحوا فرقا متفرقة، ولقد أخبرنا الله تعالى بأن رسول الله بريء من هذه الفرق وحكمهم إليه ثم يخبرهم ويجازيهم بأعمالهم يوم القيامة، قال تعالى:**{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهّ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (159)}** [الأنعام:159].

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ☺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**"افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ -، قِيلَ يَا رَسُولَ الله مَنْ هُمْ؟ قَالَ:"الْجَمَاعَةُ** - [2].

ففرقة الخوارج هم أول فرقة خالفت أهل السنة والجماعة، عظمت

(1) (صحيح) أخرجه (ابن فيل طس هب الضياء) وصححه الألباني في ص.ج 1699.
(2) (صحيح) أخرجه (هـ وابن أبي عاصم و اللالكائي) وصححه الألباني في س.ص 1492.

فتنتهم في أواخر خلافة عثمان وأثناء الفتنة بين علي ومعاوية، ولقد أسست على أفكار ضالة: كتكفير علي وعثمان ☻، والتكفير بارتكاب الكبائر، ووجوب الخروج على الإمام الجائر، فكفَّروا المسلمين واستحلوا دماءهم.

في حين أن الشيعة ظهروا في آخر عصر عثمان ☺، وانقسمت الشيعة إلى فرق كثيرة انحصرت اليوم في: الإسماعيلية، والزيدية، والإثنى عشرية وهي أكبرها وأكثرها عدداً، ومن أقوالهم: إن ما يدل على مذهبهم من آيات القرآن قد حذفها الصحابة وجاء في الكافي عن أبي بصير وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وقيل فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ما فيه من قرآنكم حرف واحد، وقال شيخهم المجلسي: ومما عد من ضروريات دين الإمامة استحلال المتعة - زواج المتعة - وحج التمتع، والبراء من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، ومن لم يبرأ من أبي بكر وعمر وعثمان فهو عدو وإن أحب عليًّا، ولذلك يتعبدون الله سبحانه بعد كل صلاة بلعن الخلفاء الثلاثة وغيرهم من فضلاء الصحابة وبعض أمهات المؤمنين... (7).

وفرقة القدرية ظهرت بعد ظهور الخوارج وقالوا: إن أعمال العباد ليست معلومة لله، ولا مكتوبة في اللوح المحفوظ، وأن الله لا يعلم بما يصنع الناس، إلا إذا وقع ذلك ولقد أدركوا أواخر عصر الصحابة.

ثم ظهرت فرقة المرجئة بعد ذلك وأدركت زمن كثير من التابعين، وهم الذين يقولون: إنه لا تضر المعصية مع الإيمان! تزني وتسرق وتشرب الخمر، وتقتل ما دمت مؤمنا، فأنت مؤمن كامل الإيمان وإن فعلت كل معصية!

أما فرق المعتزلة والجهمية قالوا قولا بين قول المرجئة وقول الخوارج قالوا: الذي يفعل الكبيرة ليس بمؤمن وليس بكافر، بل هو في منزلة بين منزلتين هذا في أحكام الدنيا، أما في الآخرة، فهو مخلد في النار! (34).

أيها الإخوة الفضلاء، ألم يأن للذين آمنوا أن يتمسكوا بسنة الحبيب صلى الله عليه وسلم الصحيحة ويعتزلوا كل الفرق التى ترد السنة، فلقد حثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتمسك بالسنة فقال: **"فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ** - أي الخلفاء الأربعة - **تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ** -[1].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(1) (**صحيح**) أخرجه (د) 4607 وصححه الألباني.